

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

ملحق ثقافي أسبوعي يصدر عن جريدة المدى

منارات
manarat

العدد (4501) السنة السابعة عشرة - الأربعاء (4) أيلول 2019

WWW. almadasupplements.com

ميخائيل شولوخوف

شولوخوف ينتصر على ناباكوف في معركة نوبل

علي حسين



كان يقضي إجازته في خيمة ومعها حقيبة مليئة بالكتب، حملها معه أينما ذهب، يعود إليها بين الحين والآخر، إنها رواية

معتبرين الدون الهادئ تحفة كلاسيكية .
فيلد لديكنز، وقصص موباسان ومجموعة أعمال تشيخوف، كان في الستين من عمره لم ينجز سوى كتابين الأول رواية متوسطة الحجم والثاني ملحمة روائية أراد فيها أن يتبع خطى تولستوي.
عندما سُال ميخائيل شولوخوف عن خير فوزه بجائزة نوبل ابتسم ابتسامته المعهودة وقال للصحفيين: "من الصعب أن يخرجني هذا الخبر من متعتي اليومية، إعادة قراءة

الحرب والسلام، واصطياد السمك والعيش وسط الناس مثل ديكنز.. ولكن هذا لا يمنع أن تأتي للانسان ضربتان من ضربات الحظ في يوم واحد، الحصول على جائزة نوبل واصطياد بطة كبيرة".

ولد شولوخوف في ٢٤ أيار عام ١٩٠٥، كان عمره خمس سنوات عندما توفي تولستوي، بعد ذلك سمع من والدته إنها كانت تشاهد الكاتب الكبير وهو يتجول الحظ في يوم واحد، الحصول على جائزة خطابيات لابنها عندما سافر للدراسة في

موسكو عام ١٩٢٢، أما أبوه فقد عمل في معظم المهن، فلاح، بياع في مكان صغير، تاجر أبقار، عامل في مطحنة للدقيق،

الهاديء المجيد، أبانا وحارسنا الدون، مبارك اسمك.

يكتب شولوخوف: "في المجال الإنساني، القراء بدأو يعتقدون مقارنات بين الحرب والسلام والدون الهادئ.. لكنهم لايدرون ان تولستوي غير حياتي منذ ان كنت في الخامسة عشر من عمري حيث عزبت في إحدى المكتبات نسخة قديمة من كتاب المعلم تولستوي".

قبل عام مرت ٦٠ عاما على صدور الطبعة الإنكليزية من رواية "لوليتا" فلاديمير نابوكوف ، والتي بيع منها أكثر من ٧٠ مليون نسخة، كان الروائي الروسي قد

ارسل مخطوطة روايته الى إحدى دور النشر وطلب نشرها باسم مستعار، لأنه لايريد أن يخسر وظيفته كاستاذ جامعي، وقبلها كان قد عرض المخطوطة على صديقه الناقد الشهير إدموند ويلسون الذي أعادها إليه مع عبارة قصيرة "إنها أسوأ ما كتبت"، وعندما فقد نابوكوف الأمل في نشر لوليتا من أمريكا، أرسل نسخة منها إلى إحدى دور النشر الفرنسية التي وافقت على النشر بشرط أن يثبت اسم المؤلف الحقيقي على الغلاف لتصدر طبعتها الأولى في باريس عام ١٩٥٥ لكنها لم تحظى بالاهتمام وظلت مركونة على الرفوف لاشهر طويلة، ولكن بحلول شهر آذار من عام ١٩٥٨ أعلنت إحدى دور النشر البريطانية عن نيتها

الصدوق سوى قفازين للملاكمة، وعندما سأله هل هو ملاكم؟، اجاب نابوكوف: انا كاتب ولكني احتاط للزمن فلربما احتاج ان أخوض معه في يوم من الايام نزالا للملاكمة.

ولد فلاديمير نابوكوف في عام ١٨٩٩، في سان بطرسبرج. كان والده، اسمه أيضا فلاديمير، مهتم باللغات اصر ان يعلم ابنه وهو صغير ثلاث لغات الإنكليزية والفرنسية والألمانية..
يبتذكر نابوكوف انه في التاسعة من عمره شاهد ليو تولستوي للمرة الاولى، ففي إحدى زيارات والده إلى مقاطعة ياسانيا بولينا وقف والده لتبادل الحديث مع تولستوي بينما اخذ الاديب الكبير يعبت بشعر الصبي فلاديمير.

في مذكراته "تكلمي ايها الذكريات الصادرة ترجمتها العربية حديثا عن دار الجمل برسم لنا نابوكوف صورة تشير الى معالم البيت الذي عاش فيه، والحدائق التي كان يضايقها بكلمات حب صريحة، و الكتب الرومانسية التي تعلق بها، وطعم الكرن الذي احبه، وطريقة اغماض عينيه عندما ينظر إلى الشمس المنخفضة، أو" أتذكر ليلة واحدة، بينما كنا ننتكئ على شجرة صفوف مضطربة، وهكذا نواليك كل الأشياء الجميلة التي تموت من الحياة والتي نحاول التفكير فيها من جديد بدلا من النظر الى المستقبل".

عندما اندلعت الثورة في روسيا ربيع عام ١٩١٧، شارك والده في الحكومة المؤقتة، وفي وقت لاحق، عندما تولى البلاشفة الحكم، كان عضوا في حكومة مؤقتة أخرى، لكنه لم يطق العيش طويلا وسط الاضطرابات فقرر ان يرحل بعائلته الى اليونان ومن هناك إلى انكلترا، حيث اتخذ الاب الاجراءات من اجل ان يلتحق فلاديمير في إحدى الجامعات البريطانية لدراسة الطب، لكن الابن كان ينوي دراسة الادب، فحول اوراقه الى جامعة كامبريدج ليخرج منها عام ١٩٢٢، وهو العام نفسه الذي اغتيل فيه والده عندما كان يشارك في تظاهرة سياسية في برلين، انتقل الابن الى برلين، وراح من أجل ان يوفر لقمة العيش ينشر القصائد والقصص القصيرة ويترجم مقالات لصحيفة روسية يومية،

كان والده ساعد في تأسيسها. في برلين يتزوج من فيرا سلونيم. وبسبب اندلاع الحرب العالمية الثانية سافر الى باريس خوفا من بطش النازية. وبعد ثلاث سنوات سيهاجر من جديد، وهذه المرة الى الولايات المتحدة ليصبح منذ عام ١٩٤٥ مواطناً أميركياً يشغل منصب أستاذ الأدب الروسي في إحدى جامعات نيويورك. عام ١٩٦٠ سيهاجر من جديد، والوجهة كانت موسكو، حيث يتفرغ للكتابة والاهتمام بجمع الفراشات، ذلك الاهتمام الذي أخذه أيضا عن والده.

توصل باحثون في أدب نابوكوف إلى أنّ لوليتا لم تكن مجرد رواية من الخيال، بل إن أحداثها وقعت بالفعل. وإن نابوكوف قام بأبحاث كثيرة تحضيرا لروايته هذه. كان يقرا بدقة كل جرائم القتل والاعتداء الجسدي، في الصحف آنذاك، إلى أن صادف حادثة الفتاة سالي هورنر التي اعتقلها رجل أربعيني، وهي تقوم بسرقة فيرا وابنه الصغير ديمتري لم يكن هناك احد يشاهده، ووقف مرتبكا امام موقف الكمارك الذي لاحظ ان المهاجر الروسي يحصل صندوقا حديثا عتيقا، وعندما طلب منه ان يفتح الصندوق، اخبره ان المفتاح ضاع منه في الباخرة، مما اضطر رجل الشرطة الاستعانة بخبير فتح قاصات، الذي ما ان فتح الصندوق حتى كانت المفاجأة حيث لم يجد رجل الشرطة داخل

بعد فشلها في قصة حب قرر "هامبرت" الأستاذ الجامعي المغرم بسحر الفتيات الصغيرات أن يستأجر غرفة في منزل الأرملة شارلوت هايز، ليجد نفسه مهوسا بحب ابنتها دولوريس، فتاة جامحة سيئة الطباع لا تتعدى الثانية عشرة من عمرها. ببساطة، قرر أن يتزوج الأم ليلقى قريبا من فتاة أحلامه الصغيرة.

لم يمر وقت طويل قبل أن تكتشف شارلوت نوايا زوجها عبر قراءة مذكراته، لكنّ القدر يتدخل لمصلحته حين تموت الزوجة في الليلة نفسها لتصبح دولوريس أو لوليتا، كما يحلو له وتسميتها، في عهده. عندها يصطحب الصغيرة في رحلة أميركية طويلة في سيارته.. ينجح هامبرت في إغواء لوليتا، ويجبرها فيما بعد على اللقاء معه، مقابل هدايا ووعود وتهديدات بإرسالها إلى دور إصلاح ورعاية سيئة الصيت. بعد عامين من العبودية، تهرب لوليتا برفقة روائي مسرحي التقت به خلال فترة قصيرة قضتها في إحدى المدارس.

في نهاية الرواية، يصبح همّ هامبرت الوحيد العثور على غريمه وقتله إلى أن يفعل ذلك. أما لوليتا فينتهي بها المطاف إلى الزواج بشاب فقير، ما يضطرها إلى طلب المساعدة المادية من هامبرت، لتلقيه للمرة الأخيرة وهي حامل، رافضة في شكل مطلق العودة للعيش منه على رغم إلحاحه المستميت. ثم تنتهي الأحداث بموت لوليتا أثناء الولادة، بينما يقضي هو في سجنه عقب كتابته مذكرات اعتبرها الرابطة الأزلية الوحيدة بينه وبين محبوبته الصغيرة.

في العام ١٩٥٦ يلقي ناباكوف محاضرة بعنوان حول كتاب لوليتا ، يؤكد فيها إن فكرة الرواية رابوته أثناء إقامته في باريس عام ١٩٢٩، حيث يكتب رواية باللغة الروسية لم تتجاوز عدد صفحاتها الثلاثين، وفي هذه النسخة الأولى تدور الأحداث في باريس وكانت الصبية المعشوقة فرنسية وليست أميركية، وفيها يتزوج بطل الرواية واسمه أرثر من امرأة مريضة سرعان ما تموت لتترك له فتاة صغيرة يعشقاها بجنون فيقرر اغتصابها، لكنه يفشل، ليتحرر في النهاية بالقاء نفسه تحت عجلات إحدى الشاحنات، ويبدو إن القصة لم تعجب بعض أصدقائه فقرر ترميزها بعد هجرته الى أمريكا عام ١٩٤٠. في العام ١٩٤٩ يعود لحكاية لوليتا، ويبدأ بالكتابة من جديد وفي هذه النسخة الجديدة نرى الصبية المعشوقة تنحدر من أصل إيرلندي حيث يعود ناباكوف الى نفس فكرة زواج العاشق العجوز من إحدى السيدات طمعا في التقرب من ابنتها، إلا أن هذه النسخة لم تلق الاستحسان أيضا من العديد من أصدقائه فيقرر حرقها، ليعود لها عام ١٩٥٢ لينتهي من كتابة النسخة الجديدة عام ١٩٥٣.

قيد وفاته بعام – توفي سنة ١٩٧٧ عن ٧٨ عاما- أوصى نابوكوف بحرق اخر رواياته، "لورا". كانت زوجته فيرا أنقذت لوليتا من الحرق بعدما رفضها الناشرون، واتخذت مذكرات التي قرر ان يمزقها اكثر من مرة، ولهذا قررت إيداع روايته الاخيرة في إحدى مصارف سويسرا.

قالت زوجته ان عدم منح ناباكوف جائزة نوبل اصبح تقليدا نعيه كل عام، عندما تطاردنا الصحافة وهي تسأل متى يمنحونك الجائزة؟ فيجيب وهو يتسمس سانتظر مثلكم العام القادم..عاني ناباكوف في اخر ايامه من الام في العظام اكد الأطباء انها اصابة بالسرطان، قال لابنه: "ربما الموت وحده يقنذني من آلام المرض، وعذاب الذاكرة الزمن

الدون الهادئ .. بلا رقابة!

موسكو/ عبدالله حبة

تروتسكي في الرواية. وفي طبعة عام ١٩٣٥ حذفت من الرواية جميع الألفاظ التي اعتبرتها رقابة نابية أو مبتذلة في سياق الحملة من أجل الحفاظ على نقاوة اللغة الروسية السائدة آنذاك. وفي طبعة عام ١٩٣٦ حذفت أسماء جميع الشخصيات السياسية المعارضة لستالين. بينما أدخل في النص في طبعة عام ١٩٢٨ تعديل حول أهمية دور ستالين في إلحاق الهزيمة بجيش المتطوعين (الحرس الأبيض) في الجبهة الجنوبية في أيام الحرب الأهلية في روسيا (١٩١٨-١٩٢٠). وبقي هذا التعديل في طبعات الرواية حتى عام ١٩٥٦ حين أدان نيكيتا خروشوف في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي "عبادة الفرد" المثقلة بشخص ستالين. وهكذا صدرت الطبعة الجديدة للرواية في عام ١٩٥٦ خالية من إسم ستالين. كما طلب الرقيب الإعتبار تفادي الحزبات القومية حذف بعض الكلمات التي تعتبر مسيئة إلى أبناء القوميات ومثالا كلمة "خوخول" الروسية الشائعة حتى أن في الكلام الدارج لدى المتحدث عن الأوكرانيين وأستبدلت الكلمة ب" الأوكراني".

ومعروف أن النسخة الخطية لرواية "الدون الهادئ" قد فقدت كلها تقريبا خلال فترة طويلة بعد احتراق جميع أرشيف شولوخوف في أثناء الحرب العالمية الثانية حين قصفت الطائرات الألمانية بيته في بلدة فيوشينسكايا، ولقيت والدته مصرعها فيه. وكانت قد تردت الإشاعات بأن مؤلف "الدون الهادئ" شخص آخر.

وقال البعض إن شولوخوف كان صغيراً في السن (٢٣ عاماً) حينما كتب "الدون الهادئ" بينما تضمنت الرواية ما لا يستطيع كتابته سوى الرجل الذي يمتلك خبرة كبيرة في الحياة ومعرفة بدقائق الأمور في حياة القوزاق وأحداث الحرب الأهلية. زد على ذلك إنها كتبت بأسلوب أدبي رفيع قياسا إلى مجموعته القصصية الأولى "أقاصيص الدون" التي نشرها قبل ذلك. وبقيت ١٤٠ صفحة فقط من المجلدين الثالث والرابع كتبت بخط يد شولوخوف نفسه وتحفظ الآن في معهد الأدب الروسي (بيت بوشكين) في سانت بطرسبورغ. كما توجد نسخ مطبوعة على الآلة الكاتبة في أرشيف الدولة للآداب والفنون وأرشيف متحف الأدب بموسكو. وتحفظ في الأرشيف رسائل شولوخوف التي يشير فيها إلى التعديلات والأماكن المحذوفة في روايته.
وعمد خبراء النصوص إلى مقارنة مختلف الإصدارات ولاسيما التي نشرت في البداية في مجلة "أكتوبر" والطبعة الأخيرة إنسان الكاتب. ويطلق الناشر على الطبعة الجديدة لرواية "الدون الهادئ" تسمية "طبعة علمية" لأنها تعتمد على دراسات خبراء النصوص الذين علوا عدة سنوات في الأرشيفات من أجل إعطاء صورة تقريبية عن الأصل. ولهذا زودت الطبعة بشروح كثيرة وبمراجع أرشيفية.



ثلاثون عاما مرّت على وفاة الأديب الروسي ميخائيل شولوخوف (١٩٠٥-١٩٨٤)، مثلما تمر أيضاً ذكري ١٥ أكتوبر من عام ١٩٦٥ التي منح فيها جائزة نوبل على ملحتمه الشهيرة «الدون الهادئ» والتي تحفل بأكثر من ٦٠٠ شخصية تصّف حياة القوزاق ومعاناتهم.

وهي الرواية التي نصحنأ أدباء ومثقفون في السبعينيات من القرن الماضي، لنقرأها، إلى جانب روايات مثل: كيف سقينا الفولاذ، وداعاً ياغوليساري، الثلج الحار، صدى الحرب والغجري، الهزيمة. واللافت أنه قضى شولوخوف في إنجاز هذا العمل، حوالي ١٢ عاماً في كتابتها ١٩٢٨ - ١٩٤٠.

أنور محمد

"الدون الهادئ" .. الأدب مغردا خارج سرب السلطنة



الحزبية والامنية واتهام أعضائها شولوخوف بممارسة النشاط المعادي للنظام. في الدون الهادئ يصف شولوخوف صراع البيض مع الحمر في القوزاق، فزراه/ نرى ميخائيل شولوخوف ينحني المثقفين جانباً - رغم أنه توسط لهم عند ستالين - وطبعاً ذلك لولا معلم المدرسة في تلك القرية القوزاقية، ووصول (شتوكمان) الذي يدير مؤسسة آلات للخياطة.. والذي يتبنى قراءة ودراسة - تدريس ماركس مع زعيمين من الحمر: ميشيكا كوشفوي وإيفان كوتليباروف، بصفتهمأ وجهين ثوريين متعلمين، إذ يرتبطان بعلاقة صداقة قوية مع غريغوري ميلتوكوف بطل الدون الهادئ. ولا ندرى لماذا لم يعر شولوخوف - المثقف - أهمية الطبيعة. على هذه الرائعة الأدبية كرواية منحت مادتها من الطبع.

إن يقدر ما كشفت عن العلاقة الغريزية بين الناس/ البشر وأرضهم، وعشقم لهمرهم الذي اسمه (الدون الهادئ)، يقدر ما حدثت، فعليا، المثقف الذي عوّل كثير من الروايات السوفييتية، روايات الواقعية الاشتراكية،

عليه كمستقبل أول دولة شيوعية في العالم.. دولة بدأت بداية قوية واستمرت تعيش قرابة ثلاثة أرباع القرن، فصارت خلالها (قوة عظمى)..

ولا سيما أنّ شولوخوف لم يلبس قميص هذه الواقعية إلا فيما ندر في المناسبات الثورية.. واعتمد في نسج روايته الدون الهادئ، على بطل شعبي غريغوري، شخصية جاء بها من خارج النسق الحضاري لثورة أكتوبر ١٩١٧، شخصية تتور وتغضب بأوامر من قلبها لا من عقلها، شخصية انفعالية.

شخصية فوضوية نزقة لم تكمل تعليمها في (كنيسة) القرية.. إلى آخره. ولولا أنّ غريغوري عشق أكسينيا استأخوفا التي تحتقر زوجها ستيبان الذي يهينها ويعذبها، فوجدت في غريغوري ضالتها كعاشق من طراز الثرسين الأوفياء لعشوقهم...

إكسينيا هذه جوهرت/ أبرزت الإنساني الذي فيه الحياة، الذي فيه حب الأرض الذي يسكن أعماق غريغوري، الذي هو ابن طبقة من التجار (ال ميلكوف)، إذ كانت تلازمه هذه القاعدة التي جبل عليها القوزاق: (أنت قوزاقي، لذا

عليك ومن أجل أرضك أن تقتل من دون رحمة، لأنّ لك حقاً في قتل العدو في ساحة المعركة، وأنه كلما قتلت رجلاً في الحرب، غفر الله لك خطيئة).

على باب بيته.

وفي عهد غورباتشوف اكتسبت شعبية كبيرة تهمة انتحال الرواية الموجهة إلى شولوخوف، فاتهم بسرقة الرواية وانتحالها لنفسه. وخاض مؤيدو هذه التهمة ومعارضوها معارك ساخنة، لم يقدم أي طرف أدلة وإثباتات علمية تسند موقفه، بل اتسمت بالعاطفية والحماسة فقط، وما كان بقدرة أي من الطرفين أن يقدم الدليل القاطع: مخطوطة الرواية.

لم تكن هذه التهمة جديدة. ففي الستينات والسبعينات وجه سولجنستين الحائز - في خضم الحرب الباردة - على جائزة نوبل للآداب، كجزء من حملته ضد الاتحاد السوفياتي، هجوما مركزيا على شولوخوف متهماً إياه بانتحال الرواية. وانتشرت نظرية "انتحال الرواية" انتشاراً واسعاً، وأنداك رد اتحاد الكتاب السوفيات المؤيد للحزب الشيوعي، على هذه التهمة بأنها من صنيع مخيلة "الخائن" سولجنستين الذي اسقطت عنه الجنسية السوفياتية، واحتضنه الغرب... ومعروف أنه عاد إلى روسيا بعد انهيار الاتحاد السوفياتي!

ومن الطريف أن هذه التهمة لم تكن جديدة تماماً، ففي أوائل الثلاثينات عند صدور رواية "الدون الهادئ"، التي اعتبرت حدثاً من الأحداث الأدبية الجليظة، أثرت الشكوك حول أصالة المخطوطة. والأختر طرافة أن التشكيك بشولوخوف واتهامه بانتحال الرواية لم يصدرأ من الأوساط الأدبية الروسية التي هاجرت بعد انتصار الثورة البلشفية، بل صدرت من "الاتحاد الروسي للأدباء البروليتاريين".

كانت الرواية الضخمة، المكتوبة بالسلوب الأدب الروسي الكلاسيكي للقرن التاسع عشر، قد أشارت عبر شخص الرواية وعبر الاتحاد عن ظنونه بأن الرواية ليست من تأليف شولوخوف، بل من تأليف الروائي نيقولا كريكوف الأديب غير المعروف، وهو مثل شولوخوف من منطقة الدون، وكان قد نشر قبل ثورة تشرين الأول أكتوبر بعض القصص عن حياة القوزاق، وفي أثناء



إنهار الاتحاد السوفياتي وانتقل العالم إلى القطبية

الأحادية، إلى حين حتماً. وكل شيء سائر

باتجاه طمس كل أثر لما تحقق

في تلك المرحلة التي تجري المساعي

لتصويرها فقط بالانتهاكات الستالينية

لحقوق الإنسان، وبالكولاغ رمزاً لها. فلم تسلم

من محاولات الطمس حتى الروائع الأدبية. فرواية

"الدون الهادئ"، وهي من شوامخ الروايات لتلك

الفترة، ومؤلفها شولوخوف، لم تسلم من

هذه المحاولات أيضاً.

شولوخوف مؤلف "الدون الهادئ"؟

صادق البلادي

كاتب راحل

الحرب الأهلية كان قد تعاطف مع البيض المعادين للثورة. لكن ستالين، بعدما قرأ الرواية، وجدها رائعة، فتبذرت كل الشكوك والظنون من جانب الاتحاد البروليتاري، وتخلّى عن الظن بأن شولوخوف استنسخ "الدون الهادئ" عن كريكوف. وما كان لاتحاد الكتاب البروليتاريين أن يفعل غير ذلك، فما كان يقوله ستالين هو القانون المقدس. وهكذا أمن ستالين نفسه بهذا الوهم، ففي أواخر حياته جرت مناقشات بين علماء اللغة حول نشوء اللغة وتفسير المادية لها، وكان رأي العلماء لا ينطلق من جمود عقائدي، بل من البحث العلمي، وناقشهم ستالين شخصياً، وعندما طرحوا آراءهم بحضها ستالين بقوله لهم: "ولكن ستالين يقول غير ذلك". فاقترحوا! وبعد أن تراجع الاتحاد الروسي للكتّاب البروليتاريين عن موقفه، تمخّص الأوساط الروسية في المهجر هذه التهمة وشنت حملة واسعة ضد شولوخوف معتبرة إياه "حبيب ستالين". الأمر المثير للحيرة للباحثين هو سبب عدم قيام

الجهات السوفياتية في البحث عن المخطوطة، فقد صرح البروفيسور أوشاكوف، رئيس قسم الأدب الروسي الحديث التابع لمعهد موسكو لأدب العالمي، ان معهده كان قد بحث سنوات طويلة عن المخطوطة، ولكن من دون جدوى. وأول خيط في العثور على المخطوطة وجد أواسط التسعينات عندما تردد ان ورنثة أحد أصدقاء شولوخوف عرضوا المخطوطة على دار سونديي للمزادات في لندن لقاء نصف مليون دولار. وتتبع المعهد هذا الخيط حتى تمكن من شراء المخطوطة من الورثة بمساعدة الحكومة الروسية ورئيس الوزراء الحالي، الذي كان رئيس المخابرات قبل تعيينه لرئاسة الوزارة.

ولست الأبحاث على أن شولوخوف كان قد جاء إلى موسكو العام ١٩٢٨ ولم يكن معروفاً بعد، واتصل الحظ كان كورداشوف ونشر الرواية. ولحسن الحظ كان كورداشوف بذلك آلة كاتبية، الأمر الذي لم يكن عادياً في تلك الفترة، بل كان نادراً جداً بين الكتّاب في موسكو. كان شولوخوف يعرف عن وجود آلة كاتبية في وطنه، هي الوحيدة في حي

هذه المادة سبق ان نشرت وهي للراحل صادق البلادي

ميخائيل شولوخوف.. من قرية قوزاقية إلى جائزة نوبل

تحسين كرمياني



manarat

WWW. almadasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة

رئيس التحرير

مخيري



رئيس التحرير التنفيذي

علي حسين

سكرتير التحرير

رفعة عبد الرزاق

الاخراج الفني

خالد خضير



طبعت بمطابع مؤسسة المدى



للاعلام والثقافة والفنون

بعد قام ابنه فيودور بإعداد نسخة تلفزيونية مختصرة عنه. عمل شولوخوف ١٥ عاما منتقلا بين مهن عديدة، من حمال وحتى معلم مدرسة. في العام ١٩٢٢، وأثناء عمله كمفتش ضرائب في قرية قوزاقية اعتقل بتهمة الرشوة، وحكمت عليه محكمة استئنائية بالإعدام رميا بالرصاص. وقام والده بتسديد مبلغ كبير عنه، وقدم للمحكمة شهادة ميلاد تثبت أن عمر ابنه ١٥، وليس ١٧ عاما. خفف الحكم إلى سنة سجن في اصلاحية للأحداث. ولكن شولوخوف الذي اصطحبته بورية حراسة إلى الإصلاحية لم يصل إلى المكان. ولا يزال السبب مجهول حتى الآن. من المعروف أن العلاقة بين هذين الكاتبين الحائزين جائزة نوبل، كانت على قدر بالغ من التعقيد. في سبعينات القرن الماضي كان شولوخوف أحد الذين اتهموا شولوخوف بانتحال رواية "الدون الهادي"، أي بالسرقه الأدبية. وبدوره، أيد شولوخوف الاضطهاد الذي تعرض له سولجينسكين، ووقع تلك الرسالة الشهيرة التي نشرتها في صحيفة "برافدا" بتاريخ ٣١/أغسطس ١٩٧٣، مجموعة من الكتاب السوفيت حول سولجينسكين وساخاروف، وانهاهما بمحاولة "خلق عدم الثقة بسياسة الدولة السوفيتي السلمية". كما أن شولوخولف، وكاتب مخلص للحزب، وقف ضد منح جائزة لينين لسولجينسكين عن روايته "يوم في حياة إيفان دينيسوفيتش".

وفيما بعد رفض كل من الكاتبين الحديث عن موقفه من إبداع الكاتب الآخر.

ويمكن والدا شولوخوف من عقد قرانهما في الكنيسة إلا بعد وفاة زوج أمه. في العام ١٩٦٤ رفض الكاتب والفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر جائزة نوبل لاداب. وفي بيان له عن أسباب ذلك، عبر عن أسفه لأن الجائزة السابقة لم تمنح لشولوخوف، مضيفا أن "العمل الأدبي السوفيتي الوحيد الذي حاز هذه الجائزة هو كتاب نشر في الخارج، وممنوع في وطن الكاتب" (الدكتور جيفاغو ليوريس باسترنك، حائز جائزة نوبل عام ١٩٥٨). ويعتقد أن بيان سارتر ذاك قد أثر على لجنة جاز نوبل، ففي العام التالي (١٩٦٥) منحت الجائزة لشولوخوف "لما تتصف به روايته من وحدة السرد والقوة الفنية، ومكلمة عن قوزاق البدون في زمن تحولات كبرى شهدتها روسيا".

أخرجت رواية شولوخوف سينماتيا ثلاث مرات في القرن العشرين (١٩٣٠، ١٩٥٨، ١٩٩٢). وكان من نصيب فيلم المخرج الشهير سيرغي غيراسيموف عام ١٩٥٨ العديد من الجوائز العالمية.

الإخراج الثالث كان على يد استاذ قدير في هذا الفن لا يقل شهرة عن غيراسيموف، هو سيرغي بوندارتشوك، الذي فاز بجائزة الأوسكار والكرة الذهبية على شريطه "الحرب والسلام". وكان تصويره "الدون الهادي" عملا مشتركا بين الاتحاد السوفيتي وبريطانيا وإيطاليا. ولكن المنتج الإيطالي أعلن إفلاسه، فأخذ البنك الدائن الفيلم الجاهز تقريبا، مقابل الديون المترتبة على المنتج. أما المخرج سيرغي بوندارتشوك فقد توفي قبل أن يرى فيلمه على الشاشة. وفيما

حظي ميخائيل شولوخوف بشهرة واسعة بعد نشر روايته المحمية "الدون الهادي" (١٩٢٨ - ١٩٢٢)، التي تصور حياة قوزاق حوض البدون في الحرب العالمية الأولى والحرب الأهلية في روسيا. ولكن العديد من النقاد جادلوا في أن يكون شولوخوف هو مؤلف هذه الرواية الحقيقي، مشيرين إلى وجود مقولة مفادها أن كل ما نشره باسمه هو مخطوطات تعود لضابط مجهول من الجيش الأبيض أعده البلاشفة. فضلا عن ذلك، شكك كثيرون في أن يكون بوسع شخص على قدر متواضع التعليم، والدراسي ليسا بغاشق أمام الموهبة. ومن الأمثلة على العباقرة الشباب يوهان غوته وتوماس مان، وكاتبان آخران لم يحصلوا على قسط كبير من التعليم هما مكسيم غوركي، وإيفان بونين (حائز جائزة نوبل).

أمضى شولوخوف طفولته في قرية قوزاقية، ولكن من غير المعروف مكان مولده بالضبط. وشولوخوف الذي كتب عن القوزاق بغزارة، لم يكن سليل هذه الجماعة. وكان والده من سكان المدن، يدير طاحونة تعمل على البخار، ولم يكن ينتمي للقوزاق. والدته فلاحه، كانت تعمل قبل زواجها خادمة عند إحدى الأسر. أبصرت عينا شولوخوف النور كطفل غير شرعي، وأرغمت والدته على الزواج من رجل آخر غير أبيه. ولو

مما أدى إلى وقف نشر الكتاب. لكن ستالين الذي قرأ فصول الرواية في مجلة أدبية، أراد أن يلتقي الكاتب الشاب، وقام الكاتب مكسيم غوركي بإعداد اللقاء الذي جرى عام ١٩٢١ في منزله بموسكو. وقد أيد ستالين شولوخوف في طموحاته الأدبية، مما مكّنه من استئناف نشر الرواية بعد حذف المقاطع حول الحملات الإجرامية الموجهة ضد سكان منطقتهم وأبناء قوميتهم. تتجلى أهمية شولوخوف في قدرته العالية على تصوير الشخص، والغوص في تفاصيل الأحداث، كما أن التوقيت الذي ظهر فيه زاد من أهميته ككاتب، كما أنه رفض الخضوع لإملاءات السلطة السياسية، ودافع عن حرية الإبداع، وأنقذ الكثيرين من ضحايا القمع الستاليني. وقد انتقد ستالين شخصيا، مما أثار الدهشة من جرّاته في حياته، ووقعت له. وهذه التصرفات كانت تؤدي في الأحوال القليلة المتبقية من حياة ستالين الشخصية، التي كان يُشرف عليها ويقودها. وتواصل الرواية سرد معاناة الشعب الروسي من الحصار اللرى، وقتل الشيوخ

النازية (١٩٤١ _ ١٩٤٥) مراسلا عسكريا عن صحيفة المستور الارمنية

على حساب الوطن. لكن على المستوى الشخصي، لن نجد كاتباً سوفيتياً حظي بهذه العداوة من قبل كتاب النظام أنفسهم الذين أرادوا التخلص منه بشتى الطرق وكانت تقاريرهم ضده تتوالى على مدى عقود، ولولا الاستثناء الذي حصل عليه من ستالين، لكن المنفى أو الإعدام مصيره المؤكد. كما أن الكتاب الروس المنشقّين كانوا الأشدّ كراهية له؛ باسترنك المشغول في مقر إقامته الباريسي بإقناع النقاد بـ "مهزلة" اسمها شولوخوف، وسولجينسكين الذي كان يرند "لم يكن شولوخوف ستالينيا إلا في عهد ستالين، ليصبح خروتشيفيا في عهد خرو تشيف، وبريجينيفيا في عهد بريجينيف... وهكذا"، ولو أنه تفخض عبارته لوجد أنها التعبير عن ذلك الشخص الذي لم يرد نعيم السلطة ولا جسيمها كما تؤكد سيرة حياته.

المفارقة أن الرّد الأبلغ على كل هؤلاء أتى من الغرب، حين كشف أرشيف الأكاديمية السويدية بأن صاحب "الأرض حرنهاها" نال أكثر عدد من الترشيحات في تاريخها عند حصوله على جائزة نوبل عام ١٩٦٥، التي دفع بها كتاب من أمثال أراغون، ورينيه شار، وأندريه مارلرو، ونيرودا، ونابوكوف، وعزرا باوند، بل إن سارتر كتب ضمن أسباب رفضه للجائزة في العام الذي سبقه بأن كان من الأجدر منحها لشولوخوف.

رحل كاتب السوفيت مطمئنا على أن "الدون الهادي" قد طبعت آلاف الطبعات وورّع منها ملايين النسخ في حوالي مئة لغة ترجمت إليها، وأنها لا زالت حتى اليوم تقدّم أهم محاكمة أخلاقية للحرب، وتمثل ملحمة صورت الإنسان البسيط في كل مكان والذي يتجاوز آلامه ويتمسك بالحياة.

ميخائيل شولوخوف.. عبقرية الألم

سناء أمين



تحضر هنا نقطة في غاية الأهمية، فكومة المقالات والأبحاث التي حاولت إثبات سرعة العمل من كاتب روسي يدعى فيودور كريكوف (١٨٧٠ - ١٩٢٠) كانت تستند إلى احتضان الحكومة السوفيتية لشولوخوف باعتباره كاتبها الأبرز، ما يمكن النظر إليه بإيجابية تندخض هذه الدعاوى ضده فقد استفاد من علاقته بالسلطة بحصوله على الأوراق والوثائق الخاصة التي احتاجها مصادر لروايته، والتي أغنتها بالتفاصيل والمعلومات، لكنها أيضا منعت عنه الأرشيف العسكري الذي أراد عند كتابة روايته "المدافعون عن الوطن".

من هذه العوالم صنع شولوخوف شخصياته السمّية في "الدون الهادي" وتحكّم بمصائرهما جميعا بما لا يترنح عنها وأقربتها وهو العالم بعاداتها وتقاليدها وتاريخها وجذور الصراع الاجتماعي فيها، ولا يجرمها من مشاعرها الإنسانية وصدقها الشخصية والعلاقات في ما بينها، وتساكبها في بنائها النفسي وحضورها الحقيقي في مكانها مع بقية أعماله التي لم تثل شهرة، وهو الدليل الذي فندّ به الباحثون مزاعم انتحاله لهذه الرواية.

ميخائيل شولوخوف والواقعية الاشتراكية

إبراهيم أبو عواد

بدأ شولوخوف الكتابة وعمره ١٧ سنة. وأول كتاب نشره هو "حكايات البدون" (١٩٢٦). وهو مجموعة قصص قصيرة عن أحداث الحرب الأهلية في روسيا وماسي شعبه. حيث انتشر القتل، وتم تشريد ملايين البشر، وتدمرت الروابط الاجتماعية للشعب الروسي، وانهارت تقاليده القومية. وظهرت التسوسة والعنف الهائل بين الأطراف المتقاتلة في الحرب الأهلية. وقد أجمع النقاد الأدبيون على أن هذه القصص تدلان على الموهبة المتألفة للمؤلف الشاب.

وفي عام ١٩٢٦، انهمك في تأليف الجزء الأول من روايته المحمية "الدون الهادي" في روسيا خلال الحرب العالمية الأولى، وسقوط القيصرية وقيام الثورة البلشفية، وانتقل الأحداث من مكان إلى مكان، وكيف كان يعيش المواطنون بجوار نهر البدون الهادي القريب من نهر الفولغا الذي يقسم الأراضي الروسية إلى شطرين. ثم تبرز أحوال القائد المتغيرة بسبب قربة أحيانا من حبيبته التي كانت تزوج من أحد أفراد سريته، التي كان يُشرف عليها ويقودها. وتواصل الرواية سرد معاناة الشعب الروسي من الحصار اللرى، وقتل الشيوخ

وولد الأديب الروسي ميخائيل شولوخوف (١٩٠٥ _ ١٩٨٤) لأب مزارع وأم أوكرانية. وأمضى معظم حياته في قريته "فويشنيكاسيا"، التابعة لإقليم روستوف في جنوب روسيا. وصارت قريته هي الفضاء الفكري والأدبي لكافة أعماله. تأثر ببيئته وقومه، وهم مجموعات من المقاتلين جاء بها القيصري كي تحرس الحدود الجنوبية للإمبراطورية الروسية، فأسست أخلاقياتها، وكرست أديها الشعبي وعاداتها وتقاليدها.

لم يكمل شولوخوف دراسته الابتدائية، وعاش الفترة (١٩١٨ _ ١٩٢٤) في إقليم روستوف، حيث كانت المنطقة تحت سيطرة الجيش الأبيض الذي أراد الإطاحة بثورة البلاشفة.

في عام ١٩٢٤، سافر إلى موسكو ليُجرب مختلف الأعمال، ويُمارس حظه في الكتابة والنشر والتعرف على الوسط الأدبي. وبعد عامين، عاد إلى موطنه الجزء الثالث لروايته، ونشر مقتطفات منه في المجلات الأدبية، ووصف في أحد فصوله انتفاضة سُكان منطقتهم ضد حملة سلبهم حقوقهم،

في عام ١٩٢٤، سافر إلى موسكو ليُجرب مختلف الأعمال، ويُمارس حظه في الكتابة والنشر والتعرف على الوسط الأدبي. وبعد عامين، عاد إلى موطنه الجزء الثالث لروايته، ونشر مقتطفات منه في المجلات الأدبية، ووصف في أحد فصوله انتفاضة سُكان منطقتهم ضد حملة سلبهم حقوقهم،

في عام ١٩٢٤، أصبح عضوا في اتحاد الكتاب.

شولوخوف يتحدث عن شولوخوف

فالح الحراني

الصادرة بموسكو، في عددها الأخير آخر حديث صحفي أدلى به قبيل وفاته، وكرسه لأبيه إنسانا وأديبا والذي عاش في زمن صعب وأنتج أعمالا خالدة، جعلت منه شخصية عصر كامل تدور حولها الكثير من الأساطير والاختلاقات، وربما الحقائق. إضافة إلى ان المادة هامة من جهة التعرف على عالم الأديب ومختبره الحياتي والإبداعي للمساعدة في فهم أعماله والعثور على تأويل مناسب لها. المادة قائمة على ردود شولوخوف الابن على أسئلة الصحيفة:

ميخائيل ميخائيلوفيتش الابن الأصغر للأديب ميخائيل شوخولوف (١٩٠٥ - ١٩٨٤) الحائز على جائزة نوبل على روايته "الدون الهادي"، عالم وفيلسوف وأستاذ جامعة وناشط اجتماعي ترأس صندوق شولوخوف المهتم بميراث الكاتب المشهور ومستشار لمتحفه، وهو مؤلف للعديد من الأعمال ونال العديد من الأوسمة، وعاش لآخر أيامه قدر أبيه وتفاعل مع قضايا العصر والمجتمع الذي عاشه. توفي شولوخوف الابن في ٢١ أكتوبر ٢٠١٣. نشرت "الصحيفة الأدبية" (ليتيراتورنايا غازيتا)



وتتذكر أرملته بأنه كان يخجل من كل ذلك، وحينما شرع بجمع مخطوطاته كان يقول لها " ماذا تفعلين فسيعرف بعد ذلك أحد الأصدقاء ويقول انظر إلى شولوخوف إنه يتمن نفسه بنفسه يجمع أرشيف. وحين راحوا يتهمونه بمختلف الكبائر (في إشارة إلى تهمة انتحاله رواية الدون الهادي) فإنه وافق مع أرملته، وبدأ يكتب كل شيء بيده، ومن ثم تقوم هي بطبعه والاحتفاظ به، ولم يعترض في هذه الحالة. ومن المؤسف ان يكون كل هذا قد ضاع إبان الحرب العالمية الثانية. إنه أيضا لغزا!

إن القول بأن ألكسندر سولجينيستين (الذي تبني مزاعم انتحال رواية الدون الهادي) نغص حياة شولوخوف عار عن الصحة، وإنه أعطى رأيا حسنا بقصصه " يوم من حياة إيفان دينيسوفتس" و " فناء ماتريونا". وحينما ظهر الكلام الفارغ في باريس (مجموعة من المقالات التي تشكك بأن يكون شولوخوف هو مؤلف رواية الدون الهادي) وكتب سولجينيستين مقدمة له، عرف شولوخوف بصدور مثل هذا الكتاب، واكتفى بالقول للشخص الذي عرض عليه مضمون المقدمة التي كتبها سولجينيستين: " ما يبغى غريب الأطوار، هذا". إن مقولة شولوخوف الشهيرة: " إن قدر الأديب مأساوي" تنطبق تماما عليه. والكلام لا يدور عن حياته المعيشية، وإنما حول مصيره الأدبي. والحملة التي تعرض لها مازالت سارية لحد يومنا هذا. والسبب ما كانوا مستعدين بكل سرور " للقبض عليه" إن وسط أدباء موسكو لم يشعر نحوه بالحب، وكان يكف له نفس المشاعر. لقد جرى تفسير الكثير من المحن التي تعرض لها شولوخوف بالحسد، ولكن كما قال هو ان " كلمة حسد لا تفسر شيئا. لهذا فإن مقوله " قدر الأديب المأساوي" توافق شولوخوف.

كبيرة ، ولكن حينما كان يقرأ كل ما يقع بيده فإنه يقرأ بإمعان ، ومع ذلك بسرعة، وقرأ معاصريه من الأدباء مثل تفارودوسكي وسيمينوف وإبراموف وبيروف واستافيف وراسبوتين. لقد قرأ لكل هذا الرعيل بمتعة كبيرة وأعاد قراءتهم وامتدحهم. ومن ثم أطلقوا عليهم " القرويين"، (لأنهم تناولوا مشاكل القرية السوفياتية والفلاحين). لم يهتم شولوخوف بجمع أرشيفه والحفاظ عليه، وحرق الكثير من أوراقه واعتنى فقط بجزء من الأرشيف. ويصعب القول بأن لديه بعد الحرب العالمية الثانية أرشيف بالمعنى الدقيق للكلمة. لقد كانت لديه في الصناديق حزم بعشر أو اثنتي عشرة صفحة، على الأغلب مخطوطات، ولكن لا يمكن القول إن لديه أرشيفا وإنه جمعه ورتبه.

إن الناس يريدون أن يسمعوا عن شولوخوف أشياء غير عادية، بيد انه كان إنسانا عاديا لم يتميز عن الآخرين بشيء، باستثناء حينما كان يجلس خلف طاولة الكتابة. وعى ميخائيل شولوخوف أن أباه أديب ، وهو يسم من الآخرين المحيطين به. ولم ير ان شولوخوف يكتب مذكرات شخصية للتاريخ، ولستقبل مؤلفاته. فلقد كانت لديه ذاكرة قوية ليس فقط للأحداث الكبرى، ولكن للأحداث الصغيرة، ومظهر الناس، وتغيرات الطبيعة. وكان شولوخوف الأب يذهب إلى طاولة العمل بدون سابق إنذار ، ملمحا بذلك للمحيطين به بأنه، بحاجة للهدوء وأن يلتزموا السكينة وعدم إزعاجه لفترة زمنية محددة.

ولم يشترع مؤلف الدون الهادي كتابة أعماله بوضع خطة مسبقة لها. ولم نلاحظ من أية نقطة يبدأ العمل، أو بالأحرى إن خطة العمل تترتب في رأسه ومن ثم يجلس أمام الطاولة ويسكب كل شيء على الورقة. ولم يذهب شولوخوف بنفسه إلى الأرشيف الحكومي لاستقاء المعلومات الخاصة بأعماله، وإذا ما احتاج إلى وثائق خاصة، فإنه يطلب من الجهات المعنية أن ترسل له الوثائق المطلوبة. وقد أتاحت له علاقته بالمرح الأديب لصحيفة البرافدا الناطقة باسم اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي، بالحصول على المواد والكتب المطلوبة لأعماله الأدبية. بينما بقي الأرشيف الذي كان بحاجة ماسة له لروايته المدافعون عن الوطن " مغلقا أمامه، وكان من الصعب عليه الكتابة عن الحقائق وعن العمليات العسكرية من دون معرفة كافة التفاصيل، وعانى كثيرا بسبب ذلك. شولوخوف الأب لم يحب أو ساط أدباء موسكو، وتحدث عنهم كوصوليين ومدبري دسائس. وهم

كذلك بالفعل .

فاعتبارا من

مكسيم غوركي، وربما

قبل ذلك تجري عملية غريبة حيث

يتجمع فريق من الأدباء ويتبنى فكرة ما، ومن اجل تلك الفكرة يتشاحنون وينعركون ويرمي ادهم الآخر بالسجن، لحد التصفية الجسدية.

لقد سئم شولوخوف من وسط أدباء موسكو. استلهم شولوخوف معارفه بالتاريخ والتقاليد والعلاقات اليومية واللغة التصويرية والأمثال وأغاني القوقاز من خلال التعاطي مع محيطه الواسع، وعرف الكثير من القوقاز أنفسهم الذين كانوا يتحدثون عن مصاعبهم بروح من العداية، وعرف بصورة جيدة الأغاني القوقازية، ولكنه لديه كثير من موسوعات الأمثال والحكم، ولكنه لم يحب الاقتباس من الآخرين. ونادرا ما كان يقتبس عبارات من أعماله أثناء حديثه. كان يراقب العملية الأدبية في البلاد، ويقرأ بسرعة